

مجلة بوتقة تترجم قصتها «الحافلة الليلية»

النيجيرية أوديتشوكوو: تعلمت حرفة الكتابة من السوداني الطيب صالح

كتبت - هالة صلاح الدين حسين *

منحت الكاتبة النيجيرية أدا أوديتشوكوو مجلة البوتقة الحق في ترجمة قصتها "الحافلة الليلية" ونشرها في عددها القادم (أكتوبر). وأدا أوبي أوديتشوكوو شاعرة ورسامة نيغيرية ولدت في مدينة اينوجو النيجيرية عام 1960 لأب ينتمي إلى قبيلة الإيبو النيجيرية وأم أمريكية بيضاء. بدأت تكتب الشعر في الرابعة عشرة، وعلمت نفسها الفنون البصرية. نالت أوديتشوكوو ليسانس الآداب في الأدب الإنجليزي والأفريقي من جامعة نيجيريا في بلدة نسوكا عام 1981 وحصلت على ماجستير الفنون الجميلة في الكتابة الإبداعية من كلية بينجتين بولاية فيرمونت الأمريكية عام 2005.



أوديتشوكوو

1967 وسط انفجار من الدماء وتم إعلان جمهورية بيافرا، لجأت أوديتشوكوو وأختها وأمها إلى ولاية ميشيغان الأمريكية على حين بقى أبوها في نيغيريا.

"كانت هناك جالية صغيرة من بيافرا في أمريكا، وأتذكر أن أمي اعتادت إرسالنا لجمع التبرعات من أجل بيافرا". تصرح أوديتشوكوو. وفي سياق آخر تقول إن قصصها "تهتم اهتماماً خاصاً بما لا يسمعه المرء دوماً عن جوانب الحرب وضحاياها؛ ما هو تأثير الحرب على العائلات؛ ماذا فعله الحرب حقاً بالفرد العادي، بالإنسان؟" مكثت أسرتها في أمريكا حتى عام 1971، أي بعد سنة من انهيار جمهورية بيافرا.

اكتسبت أوديتشوكوو بعد عودتها إلى وطنها اهتماماً متنامياً بثقافة قبيلة والدها ومعالمها الجمالية، قبيلة الإيبو النيجيرية.

وعند سؤال أوديتشوكوو عن الصلة بين استخدامها للغة في قصة "الحافلة الليلية" وسيرها لفن البولي، ذلك الفن المجرد المعتمد على الأشكال والرموز مقتصد الخطوط، ردت قائلة، "قد يتضح تأثير فن البولي بقوة في الطريقة التي اخترت بها إنهاء القصة. فقد خلقت صورة بدون أن أشعر بالضرورة ماذا يحدث وماذا سيحدث".

وحين سألتها الصحافية مارجريت هب إن كانت تود لقاء أي فنان إفريقي؛ كاتبة أرسام أو نحات أو موسيقي أو شاعر أو مفن أو مصمم؟ ففنن هو؟ وماذا؟ أجابت "القائمة طويلة... لكن ما هو واحد منهم... طالعاً منذ سنوات عديدة خلال أعوام الجامعة قصة الكاتب السوداني الطيب صالح "حفنة تمر". اكتشفت قصة صالح مجدداً منذ ثلاث سنوات، وفقرأت على نحو دوري لأتلقى دروساً في حرفة الكتابة. لكن على الرغم من اعتيادي عليها، وسنني دوماً أن أظن إلى شيء جديد. متى أسكس قصته، لا يتخلف في نفسي إلا استعادة مقتضب لا يمكن نسيانه لطبيعة إنسانية بأسرها صالح في قصة من أربع صفحات".

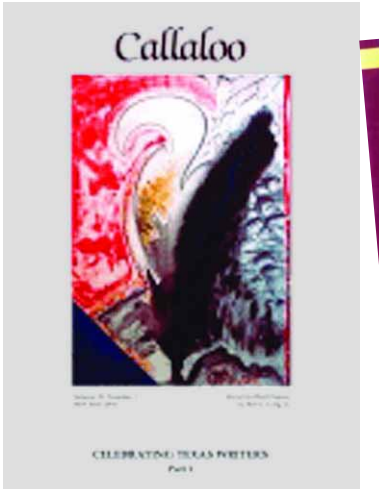
* محررة مجلة البوتقة

الأول من القصة قلقة في انتظار مجيئه، وعندما يحضر أخيراً، سوف تُقدم الوقائع التالية لأولو ما -- وكذا للقراء -- سبباً جوهرياً للشك ليس فقط في موانى بل في إنسانية البشر. إنها قصة سوداء غابية في السواد، بطلتها في حالة من القلق الشديد منذ البداية وحتى النهاية، كل من حولها إما لا مبال وإما مهدد بالخطر. حين سألت الصحافية جيني روئينبرج جريتش إن كانت القصة تعليقاً على حالة نيغيريا المعاصرة، أجابت أوديتشوكوو "بمعنى ما، أجل. ففي السنوات العديدة الماضية -- منذ بدأ الحكم العسكريون يهيمنون على البلد -- ساء مناخ الشك المحيط بالنيجيري العادي وما يجابهه في حياته اليومية سوءاً مستحللاً".

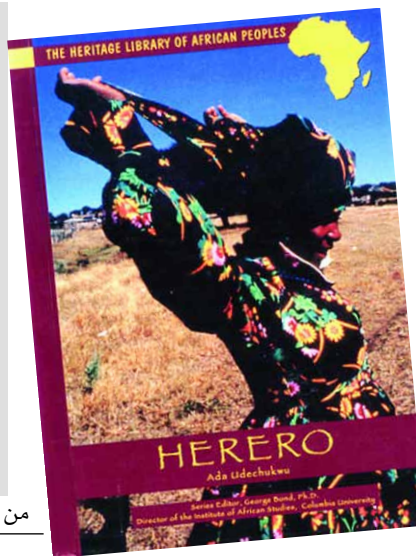
فرغم أن القصة لا تعالج الاضطرابات السياسية في نيغيريا معالجة مباشرة، تنفض أحداثها في جو من الفوضى والخوف لتعكس شيئاً من تجربة المؤلف في طفولتها.

عندما اندلعت الحرب الأهلية النيجيرية في منطقة شرق نيغيريا عام

تطوير مسيرتها الفنية، تنوي العودة للإقامة في نيغيريا في المستقبل. أصدرت أوديتشوكوو قصة "الحافلة الليلية" في صيف 2006 بمجلة ذا أتلاتيك مانثلي. رشحت القصة لجائزة كين للكتاب الأفارقة عام 2007. عدها كتاب المختارات القصصية أفضل القصص القصيرة الأمريكية 2007 واحدة من أفضل مائة قصة ظهرت في المجلات الأمريكية والكنديّة عام 2006. قد ينتاب الملطعن على فن أوديتشوكوو البصري قدر من الصدمة عند قراءة هذه القصة، إذ تخلو الحكاية من أقواس رقيقة وحالات صمت مدوية، فمع السطور الأولى يترطم القارئ بجوقاس ثقيل الوطأة بل وباعث على الاحتقار في بعض الأحيان. يتتبع السردي شابة نيغيرية تدعى أولوما في طريقها من جنوب شرق نيغيريا إلى مدينة لا جوس. وفي خلال رحلتها، يحيق بها رجال يرغبون في السخرية منها وسرقتها وانتهاكها. تكاد أولوما كل هذا من أجل حببها موانى الذي أقمها بالانضمام إليه في رحلة عمل. تقضي أولوما النصف



من أغلفة كتبها



مجموعة من القصائد والرسومات يحمل عنوان امرأة، أنا عام 1993. وصف الناقد تي. ندوكا المجموعة بأنها "تحال لا نهاية له. يتسم صوت أوديتشوكوو بالهدوء والوقار، يقبض، يسعى لكنه ذو دوي... يحفل الهواء بأسئلة بلا أجوبة بيد أن معرفة تسود بأن الخير لا يزال في الطريق. إنه شعر التناقضات، معتزل يمد يده إلى الآخرين، يمينا ومع ذلك نجده مكبوحاً كبحاً".

في ذروة الحكم العسكري الديكتاتوري في نيغيريا عام 1997، قُبل زوج أوديتشوكوو أوبيورا أوديتشوكوو وطُفي في جامعة سانت لورانس شمال ولاية نيويورك، فانتقل الاثنان ومعهما ابنتهما إيجيني وابنتهما نوررا من نيغيريا إلى أمريكا. ولا يزالون يقضون هناك حتى الآن. وتقول أوديتشوكوو عن الحكم العسكري، "لا أحد منعه... بمقدوره أن يطول أي فرد لكني لا أظنه حال دون أن يُعبر الفنان والكتاب عن أنفسهم". فن يتأمل الصمت وقصص تصم

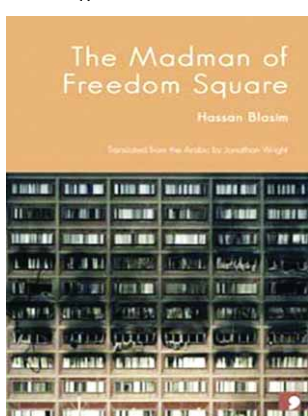
عندما التحقت أوديتشوكوو بجامعة نيغيريا كان العديد من المحاضرين البارزين يعيدون اكتشاف الشكل الفني التقليدي لقبيلة الإيبو المسمى بالبولي. البولّي في التراث النيجيري هو منهج تجريدي شحيح الخطوط مارسته النساء في الأغلب ليرسمن على الحيطان والأجساد منذ ألف سنة، ويحدد البولّي على إنجاز الرسالة الفنية. بعد عدة سنوات من حصولها على ليسانس الآداب، طُفقت ترسم التصميم على الفساتين والمبسوطات الأخرى مستعينة برموز البولّي. تميز فنها بضرديات جريئة موجزة على الأقمشة العريضة، خطوط تنسقب نسوة راقصات ووجهها تشي بالانفعال وعانلات يلتزم شملها.

جعلت أوديتشوكوو عام 1988 ترسم بالبحر والألوان المائية على الورق لإخراج عدد صغير من الأعمال الأنيقة ذات خطوط تجمع بين الجمال والبساطة، إذ استعانت بجماليات أسلوب البولّي فيما يخص المساحة والخط. وبينما تنصّف تصميمها على التماش بالبهيجة والإيجابية، تعكس رسومات الورق حالاتها المزاجية الشخصية ومحاولاتها المضنية للموازنة بين دوريّ الزوجة والأم لولدين من جهة وارتباطاتها المثنية كفنانة وشاعرة من جهة أخرى. كما تُبرز تلك الرسومات وعياً عميقاً بإرثها متعدد الثقافات، وعياً بولائها لنيجيريا وثقافة الإيبو وإحساسها بيويتها الأمريكية. قالت ذات مرة "هذا الإنصات إلى الذات هو بالنسبة لي جوهر فني. فهو يثير ويعزز، سواء كان أدبياً أو بصرياً". أوديتشوكوو واحدة من الفنانات القليلات المنتميات إلى جماعة نسوكا الفنية التابعة لجامعة نيغيريا في بلدة نسوكا. تُعتبر أوديتشوكوو نفسها رسامة أولاً وكاتبة ثانياً. نشرت أوديتشوكوو كتاباً يحوي

تقدم مشهداً غير مهادن لعلاقات الغرب بالعراق ترجمة «مجنون ساحة الحرية» للعراقي بلاسم إلى الإنجليزية

سيارات الإسعاف في شعبة الطوارئ كانت تعني لديه إدارة الخط الفاصل بين الحياة والموت. كنا نسلمه الأستاذ وكان زملائي الآخرون يمهتونه ويعتونه بالجنون. وعرفت سبب القتل. فكلامه الغامض والعذائي جعله رجلاً معقداً في نظر الآخرين. لكنني كنت أكن له الكثير من الاحترام والمحبة بسبب حديثه الجميل والنسيق. قال لي مرة: إن الدم المسفوك والخرافة هما أصل العالم. والإنسان ليس هو الكائن الوحيد الذي يقتل من أجل الخبز أو الحب أو السلطة، قامت الحيوانات في الغابة وتفعل ذلك بشتى السبل، لكنه الوحيد الذي يقتل بسبب الإيمان. وغالباً ما كان يختم حديثه بجملة مسرحية وهو يشير بيده إلى السماء؛ لا يمكن حل قضية الإنسان إلا بالربح المتواصل. كان زميلي أبو سالم يأخذ الظن بأن الأستاذ على علاقة بالجماعات الإرهابية بسبب عتف كلامه. لكنني كنت أدافع بكل إخلاص عن الرجل الذي لا يفهمون أنه فيلسوف يابئ أن يطلق النهر ساخقو السخيفة كما يفعل طوال الح McKay. كنت أحفظ كل جملة وكلمة ويقولها. فأنا كنت أسير محبته والإعجاب به".

من دون رؤوس، وكانت الرؤوس وضعت في شوال طحين فارغ أمام الجثث. خمّن رجال الشرطة أنها نسمة لرجل دين. كنا تاخرنا في الوصول بسبب الأمطار الشديدة. كنس رجال الشرطة الجثث في سيارة الإسعاف التي يقودها زميلي أبو سالم وحملت أنا إلى سيارتي (شوال الرؤوس). كانت الشوارع خالية ولم يكون يخرق سكون ليل بغداد الموحش سوى أصوات رصاص في البعيد وصوت طائرة مروحية أمريكية تدور فوق المنطقة الخضراء. انطلقنا عبر شارع أبي نواس في اتجاه شارع الرشيد، وكنا نسير بسرعة متوسطة بسبب الأمطار، حين تحمل جريحا أو مريضاً يحتضر، تكون سرعة سيارة الإسعاف هي الدليل على السوؤلية الإنسانية. أنا حمل الرؤوس المقطوعة في سيارة إسعاف فلا يحتاج إلا إلى سرعة عربة موتى تجرها البغال في غابة مظلمة من المشوومة. حدث ذلك في بداية شتاء 2006. تلقينا التعليمات بالتوجه إلى نهر دجلة. كانت المرة الأولى التي نتلقى فيها الأوامر مباشرة من مدير قسم الطوارئ في المستشفى. وهو رجل كان يعتبر نفسه فيلسوفاً وفناناً، لكنه (ولد في البلد الخطأ). على حد قوله. مع ذلك كان يحترم عمله، ويعتبره من الواجبات المقدسة. فإدارة قسم



غلاف المجموعة

كان جيداً. حتى أن قائد المجموعة سكب دموعاً حقيقيّة أثناء توديعي. عانقني مثل أخ: أنت رجل طيب للغاية... أتمنى لك كل الخير والتوفيق في حياتك، قال الرجل الأعور. أظن أنني بقيت مع الجماعة الأولى ثلاثة أشهر فقط، وكانوا اختطفوني في تلك الليلة الباردة المشوومة. حدث ذلك في بداية شتاء 2006. تلقينا التعليمات بالتوجه إلى نهر دجلة. كانت المرة الأولى التي نتلقى فيها الأوامر مباشرة من مدير قسم الطوارئ في المستشفى. عند ضفة النهر كان رجال الشرطة يحيطون بست جثث

صدرت مؤخراً بالإنجليزية عن دار "كوما برس" مجموعة قصصية للكاتب والشاعر والسيمائي العراقي حسن بلاسم، بعنوان "مجنون ساحة الحرية". ترجمة جوناثان رايت الذي كان درس اللغة العربية في جامعة أوكسفورد في السبعينات، وأمضى 18 سنة مقيماً في البلدان العربية كصحفي ومراسل لوكالة "رويترز". وكان عمله الرئيسي في حفل الترجمة من العربية كتاب "تاكسي" للمصري الشاب خالد الخيمي الذي نشرته دار "أقليم بوك" العام الماضي ولقي الرواج.

وجاء في كلمة الناشر أن قصص حسن بلاسم تقدم مشهداً غير مهادن لعلاقات الغرب مع العراق، على امتداد أكثر من عشرين عاماً، بدءاً بصناعي فيديو الرهائن في بغداد، وعملية التهريب عبر غابات سوريا، والبارانويا المؤسساتية لأعوام حكم صدام حسين، وصولاً إلى كوابيس التنفى ومحاولات التشبيح بحياة جديدة في أميركردام. كما تطرح تجربة اللجوء وثمة مجاز يصاحب الواقعية التاريخية في هذه القصص.

ويلفت الناشر إلى صدمة القراء حين يشاهدون في هذه القصص نوعاً من كوميديا راسخة للمرؤء، فالقصص تنصرف بالواقعين الوهمي والفعلي المصد، للذين يتفهمها بلاسم بطلاقة، في كبوسه الشخصي. وفي القصص تأكيد لروح المواجهة في خضم صور الحرب أو جنون المستفيدين منها، وهناك



لغة الحب

كتبت - مريم خالد:

قلت له ضمن سياق حديثنا: من أي بلد أنت؟ قال: وما العرض من سؤالي؟ قلت: أن أعرف بأي لهجة أكلمك لتفهمي كما يجب. قال: مصطنعاً الاندهاش، وهل تشعرين بأنني لا أفهمك؟ قلت له بغرور: ربما.. ثم مرترت ابتسامة جانبية على طرف شفتي. قال بعد أن حقق أن مطولا بالوردة البيضاء التي يده، وكأنه كان يستمد أفكاره منها، حقيقة ليس هناك لغة أو لهجة لتفاهم العشاق سوى لغة الحب. قلت له بدعشة: أو تعني أنه يمكن لشرقي أن يتفاهم مع غربية بهذه اللغة؟ قال: أجل... أعني ذلك. صمّت مطولاً أفكر في كلامه.. إن كان به شيء من المنطقية.. أم أنها مجرد كلمات قادتها مشاعره إلى لسانه دون أن يفقه معناها حقيقة؟ قلت: اشرح لي كيف ذلك؟

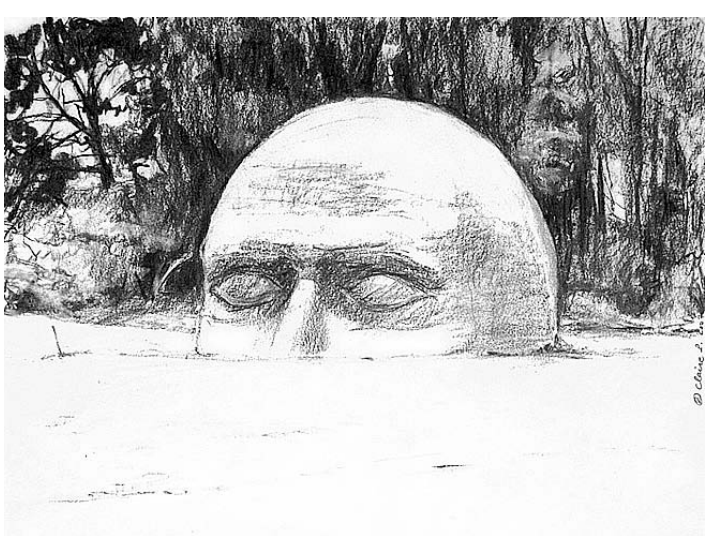
قال وهو يضع عينيه بقوة في عيني: يا جميلة.. عندما قلت لغة الحب لم أعن لغة تنطق بها السننتا.. بل حركات وسكات تستجيب لمشاعرنا.. فتعبر عما نريد أن نقوله.. من دون أن ننطق حرفاً واحداً صمّت برهة لمرّة أخرى.. واعتراتني شعور غريب ممزوج بالدهشة ومشاعر تحركت في... أذهلني بكلامه وأنا التي كنت قبل لحظات أحسبه شخصاً تافها نقوه بما لا يفقه! نظر إلى مبتسما وقال: ألن تتكلمي؟ قلت مطرقة رأسي خجلاً إلى الأرض: بلى... أعترف أن وجهة نظرك أقعد ليفاجئني من جديد عندما قال: وأنت أيضاً أقنعيني. نظرت إليه بعينين مفتوحتين على وسعها وقلت: كيف؟ قال ضاحكاً: عندما قلت أنه كيف للشرقي أن يتفاهم مع غربية بلغة الحب... ثم أزدف قائلاً ليثيزل مسحة الدهشة التي علقت على وجهي: حقيقة وجهة نظرك منطقية جداً، فلا يمكن لشخصين مختلفين في اللغة أن يتفاهما بالكلام أبداً، هذا إن اعتبرنا لغة الحب في هذه الحالة لغة شفوية كسائر اللغات كما فهمت بداية!

عندها بدأت أستوعب أنه يسخر مني مزاحاً ليس إلا؛ فأطلقت ضحكة خجلي حملت مع زفرتها الحرارة التي كانت تشتعل في جسدي، فضحكتنا معاً.. ثم أسكس يدي وقال بابتسامة عذبة: فلنذهب ناحية البحر.. وأرشد يقول: لن أجد في حياتي كلها امرأة تفهمني أو على الأقل تشاركتني تفكيري.. لذلك... أنا قانع بك حبيبتي. لم أنيس بيئت شفه.. بل كان شعور بالفخر يفغرمني أنني محبوبة واحد مثله. أسكست بيده.. ومشيئا تجاه البحر.. في حين كان قرص الشمس الذهبي يقرف في الماء تدريجياً!

نصيحة للسيدة للسيد

بقلم: زينب ع. م. البحراني

ولد السيد (فُلان) في بقعة مبهمه من أرض الله الواسعة. ولأن أبويه محدودي الذكاء والجهد والموهبة، فقد ترعرع بعقل يشبه عينية تستعصي على الاختمار رغم مرور الأيام والأعوام. وحين بلغ مفترق طرق الاختيار في مدرسته الثأونية، اختار الفرع الذي شاء له أبواه اختياره.. أو اختاره الغالبية العظمى من أصدقائه.. أو حتى.. دون أسباب واضحة!! ثم لم يعيا بأن تختار له الجامعة التي قبلت به الكلية والتخصص.. أو على أيعد تقدير، فإنه ربما اختار التخصص الذي شاءه أحد أبويه، أو الذي كثر حديث الناس من حوله عنه دون أن يعرف ما هو حقاً أو يدرى كنهه أو مميزاتة.. و سارت به الأيام في نجاح متقشف أو عام إلى عام، حتى تخرج مستسلماً لشيشة أي وزارة من مؤسسة مخولة بالتوظيف لتلقي به بين يدي أي عمل، وفي أي مكان، وبأي أجر كان!! وسرعان ما استسلم بعدها لرغبة والدته بتزويجه من أي (فلانة) دونما أسباب جدية واضحة تتجاوز حدود رغبة أم فلان في رؤية أولاد ابنتها المحروس فلان قبل أن تموت، وربما لا يسعنا أن نتجاهل لإحاح تلك النداءات الهرمونية الذكورية التي يعجز أمثاله عن فهم حقيقتها أو السيطرة عليها، كما يعجز أي ذنب من ذئاب البراري أو ضبع من ضباع الغابات عن السيطرة على دوافعه المشابهة دون اتصال بأنثى من النوع ذاته... بعد أعوام سريعة من حياته مع (فلانة) تحت سقف بيت واحد



تلت ليله الزفاف، وتفقيس نصف درزن- أو أقل أو أكثر قليلاً- من الأولاد والبنات، اكتشف (فلان) أن صراخ (فلانة) الذي لا يعقل ساعة هدوء في الصباح والمساء، وتكاليف نمو أولادها الصغار والكبار قد دمرا ما نبض من تصوراتها الساذجة عن مفهوم (الثبات والثبات). فخطره - هجأة- حين شارف أعاب الأربيعين أن يتخذ - للمرة الأولى منذ ميلاده- بعض القرارات السرية الصغيرة التي ظن أنه سيتخذيها سيستغفل - بداهة منقطع النظير- بيئته المحيطة، فيسمح لانفجارات مرأهته السرية

الان

بالبعت في أمان.. من جهة، ويحافظ على إنتاجاته الأسرية الغاشلة (بما فيها من زوجة طويلة اللسان وأبناء قبلي الأدب والتربية) والتي يظنها (مكتسبات) تستحق الفخر المضخم أمام من يجولون حقيقتها الفاسدة، ويعجز هو عن فهمها كي يحسن التعامل معها مثلما عجز قبل عن فهم نفسه، من جهة أخرى. وكان أقصى ما تفتق عنه ذهنه من قرارات بهذا الصدد أن (يقحط) أحياناً مع بعض الأسماء الأثوية الأنيقة على مواقع الثقات، و(يطبخ) مع أسماء أخرى على صفحات المنتديات. عدا عن محاولات البانسة للشخيلة قليلاً هنا أو هناك منتهزاً فرصة اقتراح ساعات الشبكة العنكبوتية الإلكترونية للتصاوب التي تفيرل الموهبة من الشخيلة ذات الحروف المرصوة، ليرمد فجوة خيبته الداخلية وإدراكه الصريح لهوة النص والحواء في داخله.... ثم.. توفي صاحبنا السيد (فلان)، ليترك ميراثه من الأولاد يعيدون التاريخ نفسه. ثم يموتون.. ليعيد أبناءهم التاريخ نفسه.. ثم يموتون.. ليتركوا تاريخاً وفيراً من (الإحتمية) يؤهلهم لخوض مستقبل يصنع لأحفادهم التاريخ ذاته على امتداد أجيال وأجيال.